

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥)

[الأنعام: 155]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

للمناسبة بين
ذكر الكتاب
السَّماوِيَّة،
والدَّعوة إلى
اتِّباع القرآن
والالتزام به

بعد أن ذكر كرامة كتاب موسى ﷺ وهو التَّوراة؛ أردف هنا بالكلام عن القرآن، فقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، وأمر باتِّباعه، ومناسبة ذكر الكتابين بعد ذكر الوصايا: أنَّهما يشتركان فيها وفي مماثلاتها، من الأوامر والنَّواهي والشَّرائع، ثمَّ إنَّ الكتابين مصدرهما واحد فهما منرَّلان من عند الله تعالى.

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُبَارَكٌ﴾: من البركة: وهي الزَّيادة والنَّماء⁽¹⁾، والتَّبَرُّك: الدُّعاء بالبركة، وتبارك الله: تمجيد وتجليل⁽²⁾، تفاعل من البركة، وَلَيْسَ من النَّماء، وَإِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، وتبارك لا يُوصف به إِلَّا الله ﷻ، وَمَا أَبْرَكَ هَذَا الطَّعَامُ! أَي: مَا أَنَمَاهُ⁽³⁾ والمعنى المُراد في الآية الكريمة: أنَّ هذا القرآن لا ينسخه كتاب بعده، أو أنَّه يشتمل على خيري الدُّنيا والآخرة.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

دعوة إلى اتِّباع
الكتاب للنَّزَلِ
المبارك تَوْحِيًّا
لِلتَّقْوَى وَطَلَبًا
لِلرَّحْمَةِ

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، يعني: القرآن الذي يُتلى عليكم، فيه بركة لمن آمن به، وهو سببٌ لمغفرة الدُّنوب، وفيه نماءٌ وزيادة على ما جاء في التَّوراة⁽⁴⁾، فاتَّبِعُوهُ واسلكوا سبيله، واعمَلُوا بما فيه من الأمر والنَّهي، واجتنبوا أَنْ تَتَّخِذُوا إِمَامًا غَيْرَ

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن سيده، المحكم: (برك).

(2) الخليل، العين: (برك).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (برك).

(4) اللوصلي، أولى ما قيل: 3/395.

القرآن، ولا ريب أن من اتبع شرع الله المسطور فيه، واهتدى به بهداه، فإنه يكون من زمرة المرحومين.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

وجه عطف جملة ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ على ما تقدم:

جملة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، أي: الذي تليت عليكم وأمره ونواهيته⁽¹⁾، عطف على جملة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 154]، والمعنى: آتينا موسى الكتاب، وأنزلنا هذا الكتاب⁽²⁾، وفائدة هذا العطف: الجمع بين الكتابين التوراة والقرآن، باعتبارهما مُنَزَّلَيْنِ من عند الله تعالى، وأنهما يتماثلان في الدعوة إلى عبادة الله وحده، وفي التشريعات العظيمة التي هي محور صلاح الأمم والمجتمعات والأفراد.

نكتة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

التفت التعبير القرآني من قوله: ﴿بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، وهو حديث غيبة، إلى الخطاب في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾، وفائدة هذا الالتفات: الانتقال من قوم موسى ﷺ إلى قوم محمد ﷺ، ومن كتاب موسى ﷺ إلى كتاب محمد ﷺ؛ لبيان عظيم حضور هذه الرسالة وما فيها من الهداية للناس أجمعين.

دلالة اسم الإشارة للقريب في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾:

افتتاح الجملة باسم الإشارة، وبناء الفعل عليه، وجعل الكتاب الذي حقه أن يكون مفعول ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ مبتدأ: كل ذلك للاهتمام بالكتاب والتنويه به، وقد تقدم نظيره: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: 92]⁽³⁾، فاسم الإشارة هنا للقريب،

بركة القرآن
الكريم في جفله
خاتم التنزيل
الإلهي العظيم

بيان عظيم
حضور الرسالة
المحمدية بين
الناس أجمعين

الإشارة إلى
الكتاب بالقرب
تنويه بالقرآن
ومكانته

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/201.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/178.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/178.

لبيان قرب الكتاب، وحضوره في الأذهان وشؤون حياة الناس، وهو القرآن بعد أن ذكر الكتاب السابق له، وهو التَّوراة.

العدول من الفعلية إلى الاسمية:

القرآن الكريم
هو الكتاب
المحفوظ في
اللوح المحفوظ

العدول من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ لإفادة الثبوت والاستقرار والرُسوخ؛ إذ لا تبديل ولا تغيير لهذا الكتاب، وهو الكتاب المهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية، وهو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه، فقال ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحج: ٩]. وهو في اللوح المحفوظ عند الله تعالى، وجاء الأسلوب على خلاف ما وُصف به كتاب موسى؛ إذ جاء بالجملة الفعلية: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

فائدة تنكير لفظ: ﴿كِتَابٌ﴾:

القرآن الكريم
هو الكتاب
الشامل لما سبقه
من كتب

تنكير لفظ ﴿كِتَابٌ﴾ في قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الغرض منه التَّفْخِيم والتَّعْظِيم؛ ذلك لكونه فريداً شاملاً لما في الكتب السابقة من حكمة وتوحيد واستدلال على عظمة الخالق، فهو كتاب عظيم مهيمٌ على ما سبقه، وهو خاتم الرِّسالات، وهو مُعْجزة خاتم الأنبياء، وأصل رسالته وهدايته.

نكتة تعدد الوصف:

الكتاب المبارك
هو ميدان
التَّحَدِّي على
مدار الدَّهر

جملة: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ في محلِّ الصِّفة للموصوف ﴿كِتَابٌ﴾، و﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية، وهما المقصد من الإخبار؛ لأنَّ كونه كتاباً لا مَرِيَّةَ فيه، وإنَّما امْتَرَى المشركون وارتابوا في كونه منزلاً من عند الله، وفي كونه مباركاً، ووُصِفَ القرآن بأنَّه مبارك، في مواضع كثيرة، والمبارك هو الثَّابت الدَّائم في ازدياد، وذلك مشعر ببقائه ودوامه^(١)، وحَسُنَ عطفُ ﴿مُبَارَكٌ﴾ على: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ لأنَّ اسم

(١) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 4/695.

المفعول لاشتقاقه، هو في قوّة الفعل، وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾؛ كأنّه قال: وهذا كتاب، وهذا مبارك، وهذا من صفته كذا وكذا، وفيه وجه ثالث من الرّفْع؛ إذ يمكن رفعه على الاستئناف لتمام ما قبله⁽¹⁾.

سبب تقديم صفة الإنزال على البركة:

ومن نظائر هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: 50]. في آية الأنبياء، جاء تقديم الصّفة ﴿مُبَارَكٌ﴾ على ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على خلاف ما جاء في آية الأنعام؛ لأنّ الحديث في آية الأنعام جاء ردّاً على زعم اليهود الذين كانوا يُنكرون الرسالة ويقولون: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقدّم الإنزال للاهتمام والردّ عليهم⁽²⁾، ولا ريب أنّ الوصف بالإنزال أكدّ من الوصف بالبركة في ذلك المقام فقدّم.

يُضاف إلى ذلك أنّ الوصف بالفعل المسند إلى نون العظمة، أولى من الوصف بالاسم، لما يدلّ الإسناد إلى الله تعالى من التّعظيم والتّشريف، وليس ذلك في الاسم لو كان التّركيب (منزّل) أو (منزل منّا).

التّفريع في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾:

وتفريع الأمر باتّباعه على كونه منزّلاً من الله تعالى، وكونه مباركاً، ظاهر؛ لأنّ ما كان كذلك لا يتردّد أحدٌ في اتّباعه⁽³⁾، فيكون اتّباعه مسلّكاً صحيحاً لاقتفاء الصّراط المستقيم الذي هو صراط الله تعالى، وسبيل المؤمنين، فجاء الأمر باتّباعه لاستحقاق الاتّباع؛ فهو الكتاب المؤهّل لصياغة حياة عامرة مستقيمة زاخرة بالخير والبركة والنّماء.

صفة المَبَارَك تدلُّ
على أنّه كثيرُ
الخبرِ ديناً ودنياً

وجوبُ اتّباع
الكتاب جاء
استحقاقاً
لبركته؛ فهو
منزّل من عند
الله

(1) الفراء، معاني القرآن، ص: 11.

(2) الهلال، تفسير القرآن التّزويّ الجامع: 3/552.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/178.

دلالة المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾:

الاتباع أطلق على العمل بما فيه من أحكام وشرائع، على سبيل المجاز، والاتباع في الأصل، اقتفاء أثر الماشي، ثم استعمل في العمل بمثل عمل الآخر، كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: 100]، ثم استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع، فهو الائتمار، ويتعدى فعله إلى ذات المتبّع، فيقال: اتبعت فلاناً بهذه⁽¹⁾، والخطاب في قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ للمشركين، لقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾:

اتباع الكتاب المراد منه الالتزام بجميع أوامره ونواهيه، وفي الجملة تمثيل بحال مُرْشِدٍ يَدُلُّ على الطريق، فيقتضي من السالّكين اتّباعه واقتفاء أثره، والامتناع عن سلوك سُبُلٍ أخرى، قال الطبري: فاجعلوه إماماً تتبعونه، وتعملون بما فيه، أيّها النّاس⁽²⁾.

دلالة الجمع بين الاتباع والتّقوى:

الأمر بالتّقوى جاء بعد الأمر بالاتباع في قوله سبحانه: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: لأنّ الاتباع يُورِثُ التّقوى ويثمرها، ثم إنّ رحلة الاتباع قد تستغرق الحياة كلّها، فلا يكون الاتباع كاملاً إن لم يُشْفَعْ بالتّقوى، فجاء الأمر بالتّقوى مُتِمِّمًا لغاية الأمر بالاتباع، فالاتباع والتّقوى ثنائِيَّةٌ، تصون صحّة الالتزام بدين الله.

بلاغة حذف مفعول الفعل ﴿وَاتَّقُوا﴾:

جاء فعل التّقوى محذوف المفعول إذ لم يقل: (واتّقوا الله أو اتّقوا النّار)، وفائدة هذا الحذف: الإيجاز وتعدّد المعاني؛ إذ إنّ فيه ثلاثة أقوال: "قيل: اتّقوا مخالفته على رجاء الرّحمة، وقيل:

الاتباع: اقتفاء
أثر الماشي،
والقرآن دليل
لمن يؤمن به
ويتبعه

الأمر بالاتباع أمر
بالتزام الوصايا
كلّها وأوامرها
ونواهيها

الاتباع والتّقوى
ثنائيّة تكامل
للدين القويم

تقوى الله رهينة
الإيمان بما أنزل
الله، واتباع
رسوله ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/423.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/238.

اتَّقُوا؛ لَتُرْحَمُوا، أي: ليكون الغرض بالتَّقوى رحمة الله، وقيل: اتَّقُوا لترحموا جزاء على التَّقوى⁽¹⁾.

نكتة التعبير بأداة الرجاء (لعلَّ):

وفي قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (لعلَّ) للتقريب؛ إذ تضمنَ الخطاب بأنه ستصيبكم رحمة الله على قدر اتِّباعكم وتقواكم؛ فهما ثنائيتة النِّجاة، فإن تحققتا فقد أوجبنا رحمة الله لهم، ودلالة الرجاء بـ (لعلَّ): هو التلازم بين الرَّحمة التي هي رحمة الله لأهل الاتِّباع والتَّقوى، فلا شكَّ أنَّ الذين يجتهدون في اتِّباع أحكام الكتاب، ويجتهدون في مدارج التَّقوى، يكونون من المرحومين.

بناء الفعل للمفعول في ﴿تُرْحَمُونَ﴾ ودلالة التعريض:

في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جاء الفعل ﴿تُرْحَمُونَ﴾ في صيغة ما لم يُسمَّ فاعله، وهذا الصَّنِيعُ يوحي بوجود قوَّة خفيَّة مراقبة لأعمال المخاطبين، بيدها الرَّحمة، فَمَنْ كان يرجو تلك الرَّحمة فعليه أن يَأتمر بما سبق من الاتِّباع والتَّقوى، وفيه تعريض بالوعيد بعذاب الدُّنيا والآخرة إن لم يتَّبِعوه.

بلادة تنوع التذييل في فواصل الآيات السابقة:

تعددت التذييلات التي عُقِّبت بها الأغراض السابقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾، [الأنعام: 151]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وهذا كلام جامع لاتِّباع ما يجيء إلى الرَّسول ﷺ من الوحي في القرآن⁽²⁾، وقد ختمت الآية السابقة بقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والثَّانية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأنَّ القوم كانوا مستمرين على الشُّرك، وقتل الأولاد، واقتراف الزَّنى، وقتل النَّفس المحرَّمة بغير حقٍّ غير مستكفين ولا عاقلين قبحها،

التَّلازم بين
الاتِّباع والتَّقوى
مؤشِّر لحصول
رحمة الله بهم

أفاد البناء
للمفعول:
الوعد بالرحمة،
والوعيد
بالعذاب

تنوع التذييل
يتناسب مع
مضمون الآيات

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/187.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/171.

فنهاهم سبحانه عن ذلك، لعلهم يعقلون قبجها، فيستكفوا عنها، ويتركوها، وأمّا الأوامر في الآية التي تليها من حفظ أموال اليتامى عليهم، وإيفاء الكيل، والعدل في القول، والوفاء بالعهد فصفت أعمال كانوا يفعلونها أو يفعلون بعضاً منها ويفتخرون بالانحصاف بذلك، فأمرهم الله تعالى بذلك لعلهم يذكرون، إن عرض لهم نسيان، وأنّ السبب في ختم كل آية بما ختمت به أنّ التكاليف الخمسة المذكورة في الآية الأولى، ظاهرة جليّة، فوجب تعقلها وتفهمها، والتكاليف الأربعة المذكورة في الآية التي تليها أمور خفيّة غامضة، لا بدّ فيها من الاجتهاد والفكر الكثير، حتّى يقف على موضع الاعتدال وهو التذكّر⁽¹⁾.

أمّا ختم آية الاتّباع والتّقوى بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فلا يخفى أنّ اتّباع أوامر الكتاب ونواحيه جملة، واجتهاد المسلم في أبواب التّقوى الكثيرة، يكون المتّصف بهاتين الصّفتين قريباً من رحمة الله ومستحقاً للدّخول في صفوف المرحومين.

الترقي في قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

ترقى الخطاب من الأمر بالاتّباع إلى مصافّ التّقوى؛ لأنّه من أحسن الاتّباع؛ فإنّه سيصيب التّقوى لا محالة، فجاء الأمر بالاتّباع والتّقوى متلازمين، فمن كان له نصيب منهما؛ حقّته عناية الله ورحمته سبحانه، فارتقى بهما إلى مدارج الفلاح، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وهذا سبب من أسباب تغيير فاصلة هذه الآية عن سابقتها: ﴿تَعْقِلُونَ﴾، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿تَتَّقُونَ﴾.

الإيمان والتّقوى
درجات عالية،
غابتها تحقيق
رحمة الله
ورضاه

(1) الألوّسي، روح المعاني: 4/299.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 12، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 4-4-64-798-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 12: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 4-4-64-798-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»